العلم والإيمان

بقلم
الأستاذ عبد الفتاح محمد عبد الكريم
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والفلسفة

لقد انفرد القرآن الكريم بين جميع الكتب المقدسة بأنه ابتدأ بهذه الكلمة التى تشيد بعظمة العلم والقراءة وهذا منتهى التشريف للعلم والعلماء

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » أمر لكل انسان بأن يقرأ . قبل الأمر بالصلاة والصيام وقبل تفصيل الشرائع وقبل الكلام عن العقيدة ثم أن الآية الكريمة قد حددت نوع العلم المقصود . . اقرأ باسم ربك الذى خلق . فهو علم بالله ولله : علم للنفع العام وليس علم للضرر ثم توالت الآيات بعد ذلك توضح فضل العلم .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

« شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » .

ولكنه ليس علما نظريا وإنما هو علم مقرون بالعمل .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » وفى كل مكان يتحدث فيه القرآن عن الذين آمنوا يقرن هذا الإيمان بالعمل ، وليس كل واحد من أهل الجنة لمجرد أن اسمه فى بطاقة تحقيق الشخصية محمد وأنه مسلم وأنه يقتنى مصحفا وينسى أن أول الكلمة فى هذا المصحف هى « اقرأ » .

والذين يسحون كسلهم وجهلهم فى عباءة التصوف ويقول الواحد

منهم : أنا متصوف يعنى أن الهجرة إلى الله لا تكون إلا بالعلم فإذا علم كان عليه أن يعمل بما علم فإذا عمل بما علم ارتقت به أعماله من حال الى حال ، فإذا دام له الحال وصابر على الأعمال انتقل من مقام الى مقام .

والمتصوفون الأوائل كانوا يحملون السلاح ويدافعون عن الأوطان المصحف فى يد والسلاح فى يد .

ومن يعلم ولا يعمل فهو عاطل كسول .

قال تعالى « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم » العقل يهندس واليد تبنى والقلب يسبح »

ويؤكد القرآن أن العمل الصالح الخالى من الإيمان بالله لا يكون عملا صالحا ففى القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن العمل الصالح .

والمقصود بالعمل الصالح تطبيق لمبادىء الإيمان بالله واليوم الآخر ورسالة الرسل من لدن آدم حتى محمد بن عبد الله .

قال تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وحيث أن العمل الصالح ينطوى على الإيمان بالله واليوم الآخر نجد أن القرآن قد يتحدث عن العمل الصالح ولا يذكر الإيمان بالله واليوم الآخر صراحة

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » .

إن ضرورة الإيمان بالله واليوم الآخر من مفهوم العمل الصالح لأن من لم يؤمن بالله وباليوم الآخر مع العمل الصالح . يستحيل أن يكون ما يأتى به من أعمال لمصلحة الآخرين إذ طبيعة الإيمان بالله تحقق العمل

الصالح للناس جميعا وعدم الإيمان بالله يدفع الإنسان إلى الإيمان بالذات والسعى فى سبيلها .

وهنا يتجه عمل المؤمن لذاته وأنانيته إلى أن يكون عملا ذاتيا أو أنانيا . ويستحيل على غير المؤمن بالله أن يكون غير مادى ومن يكون ماديا يقوم عمله على المبادلة ، والمبادلة المادية وحدها وينكر كل علاقة بينه وبين الأقربين لا تقوم على هذه المبادلة حتى علاقته بالأسرة وبالوالدين .

وفى لنا نبينا ورسولنا القدوة فلم يكن مبلغاً الآيات وحاملا للقرآن ومبشراً به فقط وإنما كان أول العاملين وكان أول من يخرج فى الغزوات حاملا سيفه قائدا جيشه وكان يجوع إذا جاعوا ويعطش معهم إذا عطشوا وكان أول من يقتحم الأخطار ونحن نعلم أنه جرح فى إحدى الغزوات .

وقد حارب سبعا وعشرين معركة خاضها جميعا وهو مع ذلك صاحب دعوة لا ينام عنهما وحارب دونها إلى آخر نفس من أنفاسه الطاهرة .

غير أن أعداء الإسلام وقد عجزوا عن هزيمته فى ساحات القتال فقد دسوا على المسلمين فى تصور لهم أن الإسلام كلمة تقال لا عمل معها .

وفى ظل هذا الفهم المعوج نرى المسلم واليهودى والقبطى يتعاشرون ويتجاورون سنين عددا دون أن تستطيع التفرقة بينهم . الكل لا يدخل مسجدا ولا يقيم فريضة ، الكل يشرب الخمر ويأكل الربا ويفجر بالأعراض وينتهك حرمة الله .

ثم ما الذى يوزن يوم القيامة أليست هى الأعمال ؟ .

قال تعالى : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون »

بل إن القرآن الكريم ليقص علينا عبر السابقين لنتعظ بها .

قال تعالى : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»

وهكذا نمتحن ونراقب تصرفاتنا وأعمالنا وقد كلفنا الله بالإيمان والعمل .

وعندما اهتدى أولوا الألباب للإيمان قالوا:

«ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنا » . ثم طلبوا من الله أن يغفر لهم خطاياهم ويتوب عليهم قالوا : « ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .

ثم طلبوا من الله التمكين لهم فى الأرض والفوز والرضوان فقالو :

« ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد » .

فعلق الحق تبارك وتعالى أن استجابته مقرونة بالعمــل والجهاد والتضحيات « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم فى بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »

عبد الفتاح محمد عبد الكريم
بقسم العقيدة والفلسفة